

المقاومة في الشعر الفارسي والشعر الإنجليزي

د. سيد مزمل رشيد
المحاضر المتعاقد في كلية اسلام آباد، كشمير

الملخص

المقاومة ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية وسمة من سمات الأساسية التي لا تنفك عنه طبيعياً. فالمقاومة هي جزء من الفلسفة التي ترفض الظلم والعدوان بل هي عند الفلاسفة وسيلة لإثبات الوجود فمن المبدأ "أنا أقاوم فأنا موجود" ويضاف أن المقاومة هي أسلوب فعال ضد مظاهر الظلم من تسلط واشتداد وقهر وعدوان، غير أنه لا يكون ضد الاحتلال الأراضي والاستيلاء على ثروات البلاد فحسب بل يشمل كل مظاهر القهر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي موضعاً أن أشكال المقاومة متعددة وهي لا تكون فقط بالسلاح بل بالفكر والفن وبكل أشكال التعبير.

الكلمات الدلالية

المقاومة، قضية فلسطين، الاستبداد السياسي، الاحتلال، حرب فيتنام

المقاومة في الشعر الفارسي

كانت الحرب العراقية الإيرانية من أطول الحرب التي فرضتها الدولة العراقية في سنة ١٩٨٠م وهذه الحرب تركت تأثيراً كبيراً على الشعر الثوري. وقد تناول معظم شعراء إيران تلك الحرب ونظموا فيها شعراً مصورين ما حدث من قتل وتدمير للشعب الإيراني والمدن المختلفة مشيدين بطولات الجيش الإيراني خاصة تحرير لبعض المدن التي كان العراق قد استولى عليها. لذلك وجد الشعر الفارسي آفاقاً رحبة في ظل الدفاع المقدس. قد أثرت الحرب بأجوائها وثقافتها وإصلاحاتها على اللغة الشعرية.

حينما نتأمل على شعر المقاوم الفارسي والعربي فنجد بين الأديبين قواسم مشتركة خاصة عند قيصر أمين بور وعز الدين المناصر الشاعر العربي الفلسطيني كما يقول يحيى معروف ورضا كياني في مقالتهما. "مما لا شك فيه أن الشعراء قيصراً أمين بور وعز الدين المناصر قد تأثروا بأدب المقاومة، ولهذا تجد أن بين الأديبين في إيران وفلسطين قواسم مشتركة عديدة. فنرى أن المقاومة أدت إلى ظهور مشتركات بين نزاعات القومية للشاعرين، وأسلوب التعبير عنها، والمضامين المشتركة في نتاجاتهما. فتتجلى الروح الثورية المتلزمة في أشعارهما".^١ وأقدم نماذج الشعر الفارسي المقاوم من أشعار قيصر أمين بور الذي لعب دوراً حيوياً في تطوير الشعر الفارسي المقاوم وأصبح علماً في هذا الفن.

يقول قيصر أمين بور مخاطباً لمواطنيه وهو يحث إياهم على مواجهة العدو بالكفاح المسلح، فينادي بحمل البندقية بدلاً من القلم:

"بايد سلاح تيز ترى برداشت

بايد براى جنگ

از لوله تفنگ بخوانم

^١ . يحيى معروف ورضا كياني، ملامح المقاومة في شعر قيصر أمين بور وعز الدين المناصر (دراسة مقارنة)، مجلة العلوم الإنسانية الدولية ٢٠١٢، عدد ١٩ ص ٤٠

باوازه فشنگ^٢

الترجمة

عليّ حمل سلاح أحد للحرب
عليّ أن أغنى من فوهة البندقية
مع لفظة الرصاص
ويقول في موضع آخر

"بايد كه شعري خامي وخونين گفت

بايد كه شعر خشم گفت

شعر فصيح فرياد

هر چند نا تمام^٣

الترجمة:

لننشد شعرا مترملاً بالدّماء

لننشد شعر الغضب

شعر الصراخ الفصيح

ولو أبترو

قضية فلسطين وشعر المقاومة الفارسي

شغلت قضية فلسطين، والقدس خاصة الشعراء العرب منذ زمن وازداد انشغالهم بهما بعد نكبة عام ١٩٤٨ م، ولم تكن تلك القضية بمنأى عن اهتمام الشعراء الإيرانيين بعد انتصار ثورتهم في عام ١٩٧٩ م، وعلى رأسهم قائد الثورة الإسلامية الإمام الراحل آية الله الخميني، حيث جعل آخر يوم جمعة من شهر رمضان يوماً للقدس لتذكير العالم أجمع بما يتعرض له أبناء فلسطين من ظلم، وقهر وقسوة وحرمان وقد تناول شعراء الثورة الإيرانية قضية فلسطين في أشعارهم، فتحدثوا عما يتعرض له الشعب الفلسطيني من ظلم، وقهر واستعباد، وتشريد، ومحو الهوية، ومحاولة طمس معالم وجوده، وصوروا عذابه في السجون والمعتقلات على يد المغتصب الحاقد. كما يقول الشاعر "بهزاد بيگامی" عن الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة في فلسطين ويخاطب منظمات حقوق الإنسان التي تدعى وجودها في العالم. فلم يغض هذا الشاعر الإحساس بآلام الجوع فيقول:

خاك در برابر غذا

بولدوزر در برابر سنگ

"جنين" در برابر سكوت

الترجمة: التراب مقابل الطعام

الجرافة مقابل الحجارة
"جنين" مقابل الصمت

سازمان حقوق بشر در کدام بیابان می روید" في أية صحراء تنبت منظمة حقوق الإنسان وتناول الشاعر " كاظم كامراة شر فشاہي" القضية الفلسطينية حيث يقول:

"أي نخستسن قيله گاه من
هیچکس نی تواند تورا از جدا من کند هیچکس
ومن هنوز به وعده های الهی امید وارم
وهیچ کاغذ پاره ای رابه اسم سند قبول ندارم
شکسته از شکنجه
چه شکوه های بسیارکه نا گفته مانده
انگار باد های بسیار مه نا گفته مانده
انگار باد های هرزه گرد مجال شکفتن نمی دهد
دیرسیت حق به حق دار نی رسد"^۵

الترجمة

لا يستطيع أحد أن يفصك عني، لا أحد
وأنا زلت حتى الآن أمل في الوعود الإلهية
ولن أقبل أية قصاصة ورق باسم الوثيقة"
محطم من العذاب
وما أكثر الآلام إلى بقي مكبوتة
وكأنما الرياح المثيرة للغبار لا تسمح بالتفتح
فمنذ أمد بعيد لا يصل الحق إلى صاحبه

المقاومة في الشعر الإنجليزي

يقول جان ايف كندي John F. Kennedy

"When power leads a man towards arrogance poetry reminds him his limitations when power narrows

^۴ . د. فخري بوش , وقف شعراء الثورة الإسلامية الإيرانية من القضية الفلسطينية , جامعة دمشق ص ۵۴۵

^۵ المصدر نفسه ص ۵۴۶

the area of man's concern poetry reminds him of richness and diversity of his existence. When power corrupts poetry cleanses."^٦

إذا السلطة أدت الرجل إلى الغطرسة، فالشعر يذكره حدوده، وإذا أضاقت مجال اهتمامات الرجل فالشعر يذكره من ثراء تنوع وجوده، وإذا فسدت فالشعر يطهر"

هكذا فعل الشاعر الإنجليزي العظيم وليم بليك William Blake

حينما قام ضد اضطهاد الحكومة واستبداد الكنيسة اللذان كانا يعاملان مع عمال المداخن معاملة الحيوانات وكانا يسلبان حقوقهم وتركاهم في الذلة والمسكنة واليأس والحرمان حيث يتجلى في قصيدته الرائعة "London" الذي يقال ضد الطبقات الثلاثة العلى كما يقول Mevlude Zenin في مقالته عن وليم بليك:

"In this poem Blake basically protests against three major institutions, the government, the monarchy and church"^٧

فنلاحظ قصيدته حيث يقول:

"I wandered through each chartered street
Near where the chartered Thames does flow
A mark in every face I meet

Mark of weakness, marks of woe

In every cry of every man

In ever infants cry of fear

In every voice, in every Ban

The min – forged manacles I hear

How the chimney sweeper's cry

Every blackening church appalls"^٨

الترجمة

تجولت في أرجاء كل شارع مرخص

بالقرب من نهر التايمز الذي يتدفق بكل براءة

التقيت بأساس اكتست وجوههم علامات الضعف واليأس

^٦. Mevlude Zenen , William Blake's "London" a resistance to power and authority , Ankara university turkey ,vol.54 (2014) p 118

^٧Mevlude Zenen , William Blake's "London" a resistance to power and authority , Ankara university turkey ,vol.54 (2014) p ١٢٠

^٨William Blake, Songs of innocence and experience, edited by Ramjilal, doth edition Rama brothers New Delhi 110005.

في صرخة كل رجل

في بكاء كل رضيع يصرخ من خوفه

اسمع عقلية زيفها الغل والحقد

كيف كان كُناس المدخنة يجهبش بالبكاء

وها هي كل كنيسة ترسل مداخنها سوداء مخيفا"

هكذا صور وليم بليك أحوال شعبه في قصيدته الرائعة لندن وحثهم على المقاومة والتمرد.

وإذا نظرنا إلى شعر المقاومة في الأدب الإنجليزي الأمريكي فنجد جماعة من الشعراء المقاومين ولكن تختلف مضامين أشعارهم وأهدافها عن إنتاج الشعراء المقاومين العرب. والشعراء في الدول العربية يقاومون ضد الاستبداد السياسي وانكماش الاقتصادي والاحتلال ولكن الشعراء في أمريكا يقاومون ضد استبداد العنصرية ((Racism الذي انتشرت في أمريكا كمرض الطاعون وكان أهل الكنيسة يؤيدون هذا الاستبداد الاجتماعي حتى تغيرت الكتب المقدسة المسيحية لدعم العنصرية كما تقول "د.سوسان سمت" في مقالها القيمة "Can Racism be Eradicated"

"I think about it in the context of being an African American female Christian theologian who has seen how the Christian scriptures have been violated and vitiated, used and manipulated to support racism and sexism"⁹

والشعراء الذين قاموا ضد هذا المرض الاجتماعي أشهرهم Langston Hugas (1902-1967) و Paul (١٩٤٨_١٨٩٠) Laurence dumbar و Cloude McKay (1889-1948) وأقدم بعض نماذج من قصائدهم الشهيرة. ونعرف كيف كان الناس يعيشون تحت هذا المرض الاجتماعي. يقول Langston Hughes في قصيدته "I Too I أنا أيضا):

"I, Too sing America

I, am the darker brother

They send me to eat in kitchen

When company comes

But I laugh

And eat well

And grow strong

Tomorrow

I will be at the table

When company comes

Nobody' ll dare

Say to me

⁹<http://m.huffpost.com/us/entry9585534>

Eat in the kitchen"^{١٠}

الترجمة

"وأنا أيضا أغني أمريكا

أنا الشقيق الأسمر

يرسلوني للمطبخ لأكل

عندما تحضر الشركة

ولكن أضحك

وأتناول الطعام بشكل جيد

و أكبر بشكل قوي

غدا

سأكون في الجدول

عندما تحضر الشركة

عندها لا أحد سيجرؤ

أن يقول لي

تناول الطعام في المطبخ"

ويقول لانجستون هيوز في قصيدة أخرى التي كتبها في عام ١٩٣٢م بعنوان " فلتعد أمريكا كما هي أمريكا مجددا" ومحور هذه القصيدة هو حلم المهاجرين الأمريكيين بالحرية والمساواة.

"Let America be America again

Let it be the dream it used to be

Let it be the pioneer on the plain

Seeking a home where he himself is free

America never was America to me

O, Let my land be a land where liberty

Is crowned with no false patriotic wreath

But opportunity is real, and life is free

^{١٠}:Arnold Rampersad, The collected poems of Langston huges, vantage books, New York p 46

Equality is in the air we breathe^{١١}

الترجمة

فلتعد أمريكا كما هي أمريكا مجددا
فلتعد لنا ذلك الحلم الذي كان
فلتعد رائدة لهذا السهل الرحب
و هو حر من ينشدها وطننا
أمريكا لم تكن أبدا أمريكالي
دعوني أري أرضي
لا تتوجها أكاليل الوطنية الزائفة
وانما تزدهر فيها الفرص الحقيقية
والحياة الحرة والمساواة

ويقول Claude McKay في قصيدته "Enslaved" (مستعبد):

"Oh when I think of long- suffering race,
For weary centuries despised, oppressed,
Enslaved and lynched, denied a human place
In the great life line of the Christian west
And in the black land disinherited
Robbed in the ancient country of its birth"^{١٢}

الترجمة

"عندما أفكر في جيل طويل المعاناة
لقرون مرهقة محتقرين ومظلومين
مستعبدين ومحاصرين ومحرومين من مكان انساني
في حياة عظيمة من الغرب المسيحي
ومحرومين في الأراضي السوداء

^١Arnold rampersad, The collected poems of Langston Hughes, vantage books, New York p179

^٢Claude McKay , Claude Mckey poems , poems hunter London p 89

مسروقة في البلد القديم الذي ولدنا فيه"

وهناك شواهد شعرية أخرى نجدها في الشعر الأمريكي خلال حرب فيتنام ونجد القصائد المختلفة في مجموعة الشعر الأمريكي "اين هي فيتنام" وقد نقلت عنها واختارت منها مجلة "شعر" اللبنانية عشرين قصيدة وهناك الشعراء الذين اعترفوا بذنوبهم التي ارتكبوا في فيتنام وهذا الاعتراف هو "البطولة" والبطولة هي أهم فرع من الشعر المقاوم كما يقول غالي شكري: "الإحساس بالذنب هو الشعور والفكر السائد على قصيدة "اعتراف" لمورتون ماركوس"^{١٣} فيصور الشاعر مأساة الجند الأمريكي التي تعادل مأساة الشهيد الفيتنامي فيقول:

"كيف لي أن أقول

بأنني قاتل

أنني أجر جر ظلي

وكانه كيس

مليء بأجساد منبوذة"^{١٤}

ويقدم لنا كشف حساب الدم على غير هذا النحو وتعالج الشاعر "اليزبيث بارتليت" إحساسها بالذنب مستعيراً من التوراة صورها وأحياناً ألفاظها:

"حسنًا، أن للشيوخ أحلامهم وللشبان

ورؤاهم لكن ذلك اليوم لن يعود ثانية

حتى تسقط الجبال، التلال

تدفننا إن كانت لا تزال هنا

لقد رأيت أرضاً خضراء تتحول إلى ملح

وديداناً تتعلق تحت مدارات بينما البشر

يناقشون شروط السلام"^{١٥}

وفي قصيدة "موعظة النار" لشاعر "هارلويس" يستلهم الشاعر صورة الراهب البوذي وهو يحترق. ولكن النار لا تشوى جسداً فحسب وأما هي تعانق الروح في "رؤيا" الشهادة والنار في الميثولوجيا الدينية رمز الولادة الجديدة كي نجد عند الشاعر الفلسطيني محمود درويش "رمز العنقاء" وهو أيضاً رمز الولادة الجديدة يتحدث الشاعر:

الجسد يحمل اللهب ويتحرك

على خارج الكون

صلاة تعني

على شفاه محترقة

والأشجار تراتب ولكنها لن تحترق"^{١٦}

^{١٣} غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، ص ٤٣٧

^{١٤} المصدر نفسه ص ٤٣١-٤٣٥

^{١٥} غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، ص ٤٤٧

^{١٦} غالي شكري، أدب المقاومة، دارالمعارف، مصر، ص ٤٣٧

وفي القصيدة المذكورة، الراهب هو كفيتنام يحترق ولكنه لا يموت. يتحلل الجسد إلى رماد ولكنه كفيتنام لا يفني والأشجار ولا تحترق هي ألوف المقاتلين من شباب فيتنام. هكذا نجد نماذج مختلفة لشعر المقاومة في الأدب الإنجليزي. وهناك جماعة من الشعراء الذين قاوموا ضد الاستبداد والظلم وقاموا مع الشعب المطحون والمسحوق لأجل حريتهم واستقلالهم.

المصادر والمرجع

العربية

١. فخري بوش, وقف شعراء الثورة الاسلامية الايرانية من القضية الفلسطينية , جامعة دمشق
٢. غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف مصر
٣. يعي معروف ورضا كياني، ملامح المقاومة في شعر قيصر امين بور وعزالدين المناصرة (دراسة مقارنة)، مجلة العلوم الانسانية الدولية ٢٠١٢ عدد ١٩

المصادر الإنجليزية:

- 1.Mevlude Zenen , William Blake's "London" a resistance to power and authority , Ankara university turkey ,vol.54 (2014) p 118
2. William Blake, Songs of innocence and experience, edited by Ramjilal, doth edition Rama brothers New Delhi 110005.
٣. <http://m.huffpost.com/us/entry9585534>
4. Arnold rampersad, The collected poems of Langston huges, vantage books, New York p 46
5. Cluade Mckay , Cluade Mckey poems , poems hunter London p 89

ملاحم الرومانسية في شعر إيليا أبي ماضي

عمر جان

الأستاذ عبد الرحمن واني

بإله

باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية،
بجامعة كشمير، سري نغر

أستاذ في قسم اللغة العربية،
بجامعة كشمير، سري نغر

الملخص

يعتني المذهب الرومانسي بالإنسان، وما تفيض به من عواطف ومشاعر وأخيلة، والتفت إلى العاطفة والشعور بدلاً من سيطرة العقل، وعالج موضوعات جديدة لم تألف في المنهج الكلاسيكي، وهو متّصف بالسهولة في التعبير والتفكير، وإرسال النفس إلى طبيعتها والإقبال إلى أهوائها، وهو مذهب متحرّر من قيود العقل والواقعية الظاهرين بوضوح في المذهب الكلاسيكي الأدبي. كما أنه يعتمد على أسس فلسفية خاصة يعتبر في أول ظهوره تجديداً في طريق الإحساس والتفكير والتعبير.

ولقد بدأت الرومانسية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، واكتسحت ثقافة أوروبا السائدة في ذلك الوقت، وحلّت محلّ الكلاسيكية. وما وصلت الرومانسية إلى العالم العربي إلاّ بعد ما انقضى عهد ازدهارها في البلاد الأوربية. وذلك عن طريق الجمعيات والمدارس التي تمّ تأسيسها بأيدي الأدباء والمبدعين العرب. وصاحبنا "إيليا أبو ماضي" استطاع أن يمثّل الرومانسية أحسن تمثيل، وهو من أولئك الشعراء الذين اتّبَعوا منهجاً موحّداً في الشعر، وقاموا بتأسيس مدرسة شعرية خاصة بهم-المدرسة الرومانسية- تبنّوا أفكارها وأغراضها الشعرية، وقد ذاعت هذه النظرة الشعرية لجزالتها وعدوبتها، ولكونها أقرب إلى الناس بطبيعتهم وميولهم.

كلمات مفتاحية: الطبيعة، المرأة، الإحساس بالألم، الحنين إلى الوطن

مقدمة

تعتني المدرسة الرومانسية بقضية الإنسان، والتعبير عما يغلب في ذاته، ودوره ومكانته في المجتمع، وتسعى إنشاء مجتمع مثالي ينجز عنه إنسان كامل يعيش عيشةً راضيةً بعيداً عن أي قيد وحدٍّ، ويُمكن أن يفرّق بين الرومانسية كنزعة وبين الرومانسية كمذهب، إنّ الرومانسية كنزعة قديمةٌ في تاريخ الآداب، وتظهر منذ العصور في بعض الأغاني والأشعار،^{١٧} وهي عندهم التحدّث عن النساء، ووصف ما يجده الشاعر خيالهن من صباية، فوصف بعض شعراء الجاهلية المرأة وصفاً كاملاً؛ فيصفون وجهها وعينيها وأسنانها وغير ذلك. فمن التّماذج على هذه النزعة في الأدب القديم، قول عنتره بن شداد العبسي؛ شاعر الجاهلية في وصف النساء:

بَسَمَتْ فَلَاحَ ضِيَاءَ لَوْلُؤْ ثَغْرَهَا

فِيهِ لِدَاءُ الْعَاشِقِينَ شِفَاءُ

قال الشاعر عنتره بن شداد العبسي عندما وصف ابنة عمّه "عبلة بنت مالك" في هذا البيت: أنها إذا ابتسمت تجلّي الضوء من أسنانها، وهذا الضوء يكون شفاء للعشاق إذا نظروا إليها.

^{١٧} أحمددي، عبد الحميد، "مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي"، فصلية إضاءات نقدية، العدد الرابع، شتاء، ٢٠١١، ص، ٢.

^{١٨} إبراهيم الأبياري، "شرح ديوان عنتره بن شداد، ط: ١٩٦٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ص، ٦.

وأما الرومانسية كمذهب أدبي يمتاز بسمات خاصة، ويقوم على أسس فلسفية ونقدية ظاهرة، وتُظهر فيه علاقة واضحة من التطور الفكري. ولم يظهر مفهوم الرومانسية عند النقاد لكثرة تعريفات للرومانسية التي قدّمها أنصار الرومانسية ومعارضوها إلا أن ورد إجماع النقاد على تعريفها في "شلي في الأدب العربي في مصر" لجيهان صفوت رؤف نقلاً عن "دليل الرومانسية" لأرنست بيرنبوم، فهي "ضرب من ضروب العبث لتعدّد مظاهرها واتجاهاتها": "بدأت في أوائل القرن التاسع عشر، وطغت على المذهب الكلاسيكي، ثم "قام المذهب الرومانتيكي على أنقاضه. ولم يتم لهذا المذهب الانتصار إلا بعد أن هوجمت حصون المذهب الكلاسيكي على يد الأدباء والفلاسفة من دعاة التجديد طوال القرن الثامن عشر وخاصة في النصف الثاني منه، فمهّدوا الطريق أمام الرومانتيكيين الخالص فيما بعد".^{٢١}

والرومانسية لم تنحصر على أوروبا فحسب! بل تجاوزتها إلى سائر أنحاء العالم؛ لأنها تصوّر الجمال الفكري والروحي الذي يتفق مع الأوضاع التي كانت سائدة في مناطق مختلفة من العالم في ذلك الوقت، ولا سيّما العالم العربي.^{٢٢}

المذهب الرومانسي في الأدب العربي

يعدّ الشاعر خليل مطران أول من انتقل بالشعر الحديث إلى مرحلة جديدة في اتجاه الرومانسي، ثمّ قامت المدارس الأدبية التي برزت في "مدرسة الديوان" و"المهجر" و"أبولو". فقد صاحبت هذه المدارس إلى الاتجاه الوجداني في الشعر وتصوير ما يجيش في النفس من عاطفة وإحساس، والاتفات إلى الطبيعة من خلال عواطف الشاعر وأحاسيسه، والمطالبة بالوحدة العضوية للقصيدة، والتحرر من أسرار القافية الواحدة، والألفاظ الغربية، والصور التقليدية، وكان لهذه المدارس دور كبير في تمهيد الطريق أمام التيار الرومانسي.

وكانت مدرسة المهجر كغيرها من المدارس العربية التي تساهمت في تشييع المذهب الرومانسي، فظهر فيها علم من أعلام الشعر استطاع أن يمثّل المذهب الرومانسيّ أحسن تمثيل، وأن يحظ نصيبه بنشره إلى حد بعيد، وهذا العلم هو "إيليا أبو ماضي" شاعر المهجر الأكبر الذي كان أحد أقطاب الرومانسية العربية. وهو كشاعر رومانسي ركّز على الجانب الوجداني من التجربة الشعرية، وعالج فيها موضوعاتٍ رئيسية تتصف بكل مواصفات المذهب الرومانسي. فمن هذه الموضوعات؛ الطبيعة، المرأة، الإحساس بالألم، الحنين إلى الوطن.

الطبيعة

كانت الطبيعة من الموضوعات التي برزت في معظم الأعمال الأدبية على مرّ العصور، وشعراء العرب منذ الجاهلية قد التفتوا نحو الطبيعة ومظاهرها، ووصفوها وصفاً دقيقاً. وكذلك "أبو ماضي" كشاعر رومانسي مزج بين إحساسه ومظاهر الطبيعة من حوله، فهو في قصيدته "المساء" يخاطب "سلى" في جو طبيعيّ تمتاز عناصره كلها بالكأبة والوجود، ولعلّ هذا

^{٢١} أحمددي، عبد الحميد، "مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي"، فصلية إضاءات نقدية، العدد الرابع، شتاء، ٢٠١١، ص٢.

^{٢٢} جيهان صفوت رؤف، "شلي في الأدب العربي في مصر، ط: ١٩٧٦" دار المعارف، القاهرة، ص٢١.

^٢ د. محمد غنيمي هلال، "الرومانتيكية"، ط: ٢٠٠٣، تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٧.

^٣ أحمددي، عبد الحميد، "مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي"، فصلية إضاءات نقدية، العدد الرابع، شتاء، ٢٠١١، ص٣.

الوجود والصمت الحائر انعكاس لكآبة سلمى وحنزها(٢)؟

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع
يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجّع
إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى
أحلامه ورغائبه
وسمائه وكواكبه

يريد الشاعر أن يخلّص حبيبته سلمى من فكرة التشاؤم إلى فكرة التفاؤل، ويستخدم لذلك صورا مشرقة للمساء لبعده من تلك الحال، ويقول لسلمى إنّ السّواد الحالك الذي يسود الليل لا يفرق بين التّهرّ الجاري وبين المستنقع ويخفي كلّ ذلك بسواده، وكذلك الوجه الجميل يخفي الابتسامة التي يتمتّع بها الرجل الطروب، والأدمع التي تسيلها عينا المتوجّع من الآلام، هكذا الصورة الجميلة والصورة البشّية تغيبان تحت البرقع غير ظاهرتين للرؤية. كلّ هذا لأنّ حالة "سلمى" حزينة، مضطربة. و"أبو ماضي" لم يتوقف في قصائده عند حدود المظاهر الطبيعية الصامتة، بل تجاوزها إلى مظاهر طبيعة حية، والتفت إلى الليل، والضفادع وغيرها من هذه المظاهر، فهو في قصيدة له بعنوان "الضفادع والنجوم" يقول(٣)؟

مرّق الفجر جلابيب الدجى ومحا من صفحة الأرض الرسوم
فمشت في سرّها مختالة كملك ظافر بين قروم
ثمّ قالت: لكم البشرى ولي قد نجونا الآن من كبد عظيم

إن الضفادع حينما لاحظت النجوم تحتل مساحة الماء كاملة، ظنت أن هذا عدو قادم يحاول اجتياحها وطردها من موطنها، فأعطت لجند الضفادع أمرا بالتجمّع والاحتشاد لملاقاة هذا العدو المترصّص. فحينما طلع الفجر وأحسّت أنها نجت من كبد عظيم، فأسمعت البشرى لجندها. فسوّ الشاعر في هذه القصيدة أظلال النجوم وما إليها تصويراً بارعا، وتصوّر القصيدة معركة وهمية صنعها الطبيعة، وتدل على اندماج الشاعر في الطبيعة ومحاكاة لها في غاية الروعة والتصوير.

المرأة

كان للحبّ دور بارز في آداب الأقوام المختلفة من العالم، وكانت المرأة منذ عصور بالنسبة للرجل هي المصدر الرئيسي لإثارة مشاعر الحب، فاتصل الرجل حولها اتصالا جعلت منه شاعرا مبدعا، فكتب ونظم أحسن آثاره ونتاجه حول المرأة. وأخذت المرأة حيزا كبيرا في آثار أدباء العرب منذ قديم الزمن، ولكنّ الشعراء لا يفهمون إلا أنّها جسد يُشْتَهَى؛ فأخذوا يصفون المظاهر الجسديّة في المرأة دون الاعتناء بما وراء الجسد من أحاسيس التي تؤدي إلى السير مع الحبيبة في عالم الخيال والأحلام.

وأبو ماضي عظّم شأن المرأة، واستولت في شعره مكانةً رفيعةً لم تظفر بمثلها في الأدب القديم، فلقد التفت "أبو ماضي" إلى مكانتها في المجتمع، وتوجه المرأة والرجل على السّواء، نحو أسى المثل الإنسانية وتهذيبها بالمعرفة والإيمان. يقول في

٢ إيليا أبو ماضي، ديوان (وهو مجموعة دواوينه) ط: ١٩٨٦، دار العودة بيروت. ص، ٧٦٦.

٣ المصدر نفسه، ص، ٦٦٧.

قصيدته المشهورة بعنوان " السجينة" (٤)؟

لها الحجرة الحسناء في القصر إنما أحب إليها روضة وكثيب
وأجمل من نور المصابيح عندها حياحب تمضي في الدجى وتؤوب
ومن فتيات القصر يرقص حولها على نغمات كلهنّ عجيب

هذه الأبيات يعرف أن المرأة في شعر إيليا أبي ماضي لها مكانة كريمة وقد تعرض الطبيعة والأشياء الجميلة مثل المرأة المحبوبة.

الشعور بالألم

لم يترك الألم شخصا إلا وأصابه بسهامه، مرّت على كلّ لحظات طوال أو قصار، عانى خلالها من الحزن والأسى على آمال ضاعت، وشعر كلّ واحد في لحظة من لحظات حياته أنّ الحياة في هذه الدنيا أصبحت عديمة الجدوى، وأنها كفاح طويل وعقيم، وأن لحظات السعادة والفرح فيها أقل بكثير من لحظات المشقة والعناء.

فإنّ الألم قد انعكس في الأدب وكان في أدب الرومانسيين أشدّ انعكاسا. ولقد عالج "أبو ماضي" هذا الألم في معظم قصائده؛ لأنه فقد والدته وترك وطنه في صباه، وبالأوضاع السياسية التي أحاطت بالعالم العربي بسبب الاستعمار من ناحية، والتخلّف والجمود من ناحية أخرى، فأثرت هؤلاء على نفسية الشاعر تأثيرا قويا مما جعلته يتألم ويتعذب أشدّ العذاب، ولقد أشار "أبو ماضي" في قصائده عديدة إلى الحياة الصعبة التي يعيشها هو وشعبه تحت وطأة الاستعمار، ويعانى مما يعانى منه أبناء وطنه من مآسي اجتماعية، ومشاكل معيشية، يقول في قصيدة "الفقير" (٥)؟

نفس أقام الحزن بين ضلوعه والحزن نار غير ذات ضياء
يبكي بكاء الطفل فارق أمه ما حيلة المحزون غير بكاء
حيران لا يدري أيقتل نفسه عمدا فيخلص من أذى الديناء

يصحّ الشاعر أن نفسي مفعمة بالحزن والههم، وقد يخرج هذا الحزن في وجودي، وينشج المحزون كنشج الطفل الذي ماتت أمه، والشخص المهموم لا يجد حيلة إلا البكاء والأنين؛ فإنه حائر لا يعلم أيقتل نفسه لكي يتخلص من آلام الدنيا ومتاعها.

الحنين إلى الوطن

إن المواقف الوطنية ابتدأت بمحبة الوطن والحنين إليه زادت في القرن التاسع عشر، وأن الافتخار بالوطن عادة ينشئ في قلب الإنسان ملكة لينصر الوطن وقضاياها، والمهاجرون لا ينسون بلدانهم العربية بل يبقى كلامهم عن الأوطان، ولا يجعلهم العيش مشغولا في البلاد الأجنبية عن تتبع قضايا مجتمعهم في سبيل التطور، حيث تمت جذورهم في تلك الأوطان، ولقد كانوا يتغنون بها دائما حتى أصبح الحنين إلى الأوطان من أبرز سمات الشعر في الأدب المهجر.

وإن حنين المهجرين وشوقهم إلى الوطن ليس له حدود، بل يصدر من أعماق القلب، وهو حنين صادق تصطحبه العواطف العميقة. و"أبو ماضي" كسائر الشعراء المهجرين يعبر عن موقفه الوطني، وله حالة الشوق إلى جمال طبيعة "لبنان"، فلذلك نجد اهتمامه الخاص بالقضايا الوطنية، وإن طبيعة لبنان طبيعة الآمال والأحلام، وحب الوطن باق في

^{٢٥} إيليا أبو ماضي، ديوان (وهو مجموعة دواوينه) ط: ١٩٨٦، دار العودة بيروت. ص: ١٣١

^{٢٦} المصدر نفسه، ص، ١٠٥.

قلبه، ويشتدُّ كلما يتقدم الزمن.

إن أبا ماضي لم ينس صورة وطنه، بل يجسدها في حياته ويتغنى بطبيعته وجماله، كلما أُتيحت له الفرصة. وإن أحسن ما نظمته في "لبنان" قصيدة "وطن النجوم"؛ حيث يوجد في شعره حباً وحنيناً إلى وطنه الذي يتغنى به بأحسن المشاعر وأرق العبارات، ويتحدث عن الوطن الذي نزع عنه ويعتزُّ به، ولم تضعف الغربة من شوقه إلى وطنه لبنان، فارتباط الإنسان بحب المكان الذي نشأ فيه شيء طبيعي لارتباط حياته بذلك المكان، حيث أسرته وأهله وعشيرته فيه، وهو دليل صدق وإخلاص، وأنه يمثِّل انتسابه إلى المجتمع الذي كان يعيش فيه، ويبقى هذا الحنين دائماً في وجوده (٢).

وطن النجوم... أنا هنا حدق... أتذكر من أنا؟

يتسلق الأشجار لا ضجرا يحس ولا وني

ويخوض في وحل الشتا متهللا متيمنا

لا يتقى شر العيون ولا يخاف الألسنا

يقول الشاعر في هذه الأبيات يا لبنان يا وطن النجوم... أتعرفني؟ أنا ذلك الولد الذي كان يصعد الأشجار دون تعب ومشقة، ويخوض في وحل الشتاء بالفرح والسرور، ولا يخاف من شرِّ عيون الناس وطعنهم وحسادتهم له. لقد ظهرت مظاهر الرومانسية في جميع قصائد "أبي ماضي" الشعرية، حيث كان مدركاً على المضامين الشعرية القديمة، وهذا ما نجده واضحاً من خلال أفكاره وآراءه التي اعتمد فيها على الذاتية التي تحتوي عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحياناً الثورة على المجتمع والتحرر من قيود العقل والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

المصادر والمراجع

١. إيليا أبو ماضي، "ديوان أبي ماضي" (وهو مجموعة دواوينه)، دار العودة، بيروت، ط: ١٩٨٦.
٢. زهير ميرزا، "دراسة في شعر أبي ماضي"، دار العودة، بيروت، ط: ١٩٨٦.
٣. رؤف، جهان صفوت، "شلي في الأدب العربي في مصر"، دار المعارف، القاهرة، ط: ١٩٨٢.
٤. د. عبد الرحمن واني، "الرومانتيكية في شعر إيليا أبي ماضي"، (وهي المقالة المنشورة في مجلة الدراسات العربية لجامعة كشمير، سنة ديسمبر ٢٠٠٣)
٥. إبراهيم الابيار، "شرح ديوان عنتر بن شداد"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٩٦٠.
٦. هداره، محمد مصطفي، "دراسات في الشعر العربي الحديث"، دار النهضة العربية، بيروت، ط: ١٩٩٢.
٧. د. هلال، محمد غنيبي، "الرومانتيكية"، ط: ١٩٧٣، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ١٩٧٣.
٨. أحمددي، عبد الحميد، "مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي"، فصلية إضاءات نقدية، العدد الرابع، شتاء، ٢٠١١.

٢ إيليا أبو ماضي، ديوان (وهو مجموعة دواوينه) ط: ١٩٨٦، دار العودة بيروت. ص: ٧٣٦

